A AL-QANATIR
INTERNATIONAL JOURNAL OF ISLAMIC STUDIES
eISSN: 2289-9944
Vol. 15. No. 1. January Issue (2019)

THE PURPOSES OF SHARIA THOUGHT OF MUHAMMAD SA'ID RAMADAN AL-BUTI: STUDY AND APPLICATION

مقاصد الفكر الإسلامي عند الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي دراسة وتطبيق

Methaq Sadeq Mahmood Hazaea Al-maliki
Degree of Doctor of Philosophy

of Usul Fiqh Academy of Islamic Studies, University of Malaya,

Email: mithaq1990@gmail.com

Abstract

The current research aims to study the purposes of thought, and illustration of how to enhance them, and their role at al-Būṭī. The reason for all that is to demonstrate all cultures and thought perceptions are related to the worship of the Almighty Allah, away from the conflicts and disputes. Accordingly, the researcher defines the thought linguistically and terminologically, analyzing and connecting such a definition to the purposes of thought at martyred Muḥammad Sa'īd Ramaḍān al-Būṭī. The researcher arrives to the following conclusions; i) The sound Islamic thought is the one which matches all the perceptions and purposes of Sharia; ii) The thinker is not called a real Islamic thinker unless all his perceptions and culture pertain to the core of Islam, and carry the correct meaning of servitude and fear of Allah; iii) The real role of Islamic thinking in all its aspects is to fulfil the thralldom to Allah, and benefit the others, far away from being a fuel to crisis, or a bridge for whims and caprices

Keywords: purposes, Islamic thinking, Sa'īd Ramaḍān al-Būṭī

ملخص البحث

هذا البحث يدور حول دراسة مقاصد الفكر، وكشف وسائل تنميته، ثم دوره عند البوطي وذلك لجعل جميع الثقافات والتصورات الفكرية تُظهر جوهر الإسلام وحقيقته، وتُربِط سائر التصورات الفكرية بالعبودية لله تعالى بعيدةً عن الصراعات والمجادلات، فلذا قام الباحث بإبراز اسهام البوطي في المقاصد والفكر ثم تحليلهما، والجمع بينهما، كما قام الباحث بدراسة الوسائل التي تنمي مقاصد الفكر عند المفكر، ثم وضح دور مقاصد الفكر عند الشهيد محمد سعيد رمضان البوطي، وقد توصل الباحث إلى نتائج وهي: أن الفكر الإسلامي السليم هو المطابق بجميع تصوراته لمصادر الشريعة ومقصدهما، ولا يمكن عقلا ولا نقلا أن يسمى المفكر مفكرا إسلاميا حتى تكون جميع تصوراته وثقافاته تُعرِّفُ بجوهر الإسلام وتحمل في مضمونها معنى العبودية والخشية لله، وأيضا دور مقاصد الفكر الإسلامي في جميع جوانبه هو

	تحقيق معنى عبودية الله ونفع الأخرين، وليس خادما للصراعات، والمجادلات الخادمة للنفس والهوى والشيطان.
	الكلمات الاستفتاحية: مقاصد، الفكر الإسلامي، البوطي.

مقدمة

أشاد القرآن الكريم بالفكر، وجاءت العديد من الآيات الدالة على الفكر والتصور، وقد اختلفت نظرة العلماء لمقصود الفكر ومفهومه، ودوره، فالبعض حصره بتصورات خاصة بعيدة عن المقصد الشرعي والبعض لم يربط بينه وبين العبودية لله حتى نتج من ذلك الكثير من الأفكار والآراء والاختلافات التي أضرت بالشريعة الإسلامية وعقيدتها، ومن خلال قراءة وتتبع الباحث لمؤلفات البوطي وجد المفهوم الشامل للفكر ودوره الواضح في إعادة الفكر الإسلامي الصحيح المربوط بالعبودية والمبني على منهج القرآن الكريم، والسنة النبوية، وبقية مصادر الشريعة الإسلامية، فلذا جاءت هذه الورقة لدراسة الفكر، ومقصوده عند البوطي ثم توضيح وسائل تنميته، وإبراز دوره وتطبيقاته عند البوطي.

مشكلة البحث:

من المعلوم أن كلمة الفكر الإسلامي صارت كلمة مشهورة في أوساط المجتمعات الإسلامية ويتخذ الكثير من العلماء هذا الإسم اعجابا به، لكن الواضح حاليا أن محتوى الفكر الإسلامي يُدس فيه الكثير من الأفكار المعارضة لمقصود الشريعة الإسلامية حتى صار وسيلة لجلب الكثير من الأفكار الفلسفية والعقائدية التي نتج عنها الكثير من المجادلات والمناظرات التي أثرت تأثيرا بليغا في صورة الفكر الإسلامي الصحيح، وذلك بسبب التصورات الفكرية التي أُطلق عنانها، ولم تقيد بضوابط الحقائق العلمية الثابتة، ولم يوجد فيها نوع من الربط والتخصيص بين الحكم وهدفه الأسمى وهو تحقيق معنى العبودية لله عز وجل.

فلذا حاول الباحث استقراء مقصود الفكر عند البوطي لكي يبرز المعنى السليم للفكر عند البوطي وتتضح وسائله وتنجلي جوانبه وتظهر الغاية العظمى منه، لعل يكون فيه الخير والنفع الكثير.

.

أهداف البحث:

i إبراز مفهوم مقاصد الفكر الإسلامي السليم المطابق لمضمون القرآن والسنة ومصادرها عند البوطي.

ii العمل على استنباط وسائل تنمية للفكر أشار ونوه إليها البوطي في مختلف مؤلفاته.

ii توضيح تطبيقات مقصد الفكر بجميع جوانبه عند البوطي وربطها بالعبودية.

منهج البحث:

سلك الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي للوصول إلى مفهوم مقاصد الفكر الإسلامي، ودوره عند البوطي، وذلك بتتبع تعاريف العلماء وأقوالهم والعمل على تحليلها وجلب الكثير من التطبيقات والأقوال المؤيدة لمضمون البحث من مختلف المؤلفات العامة والخاصة للبوطي، وقد جعلها الباحث في ثلاثة مباحث كالتالي:

المبحث الأول: مفهوم المقاصد والفكر عند البوطي.

المبحث الثاني: وسائل تنمية مقاصد الفكر عند المفكر.

المبحث الثالث: دور مقاصد الفكر عند محمد سعيد رمضان البوطي.

والله أسأل أن ينفع بها الكاتب والقارئ إنه جواد كريم.

المبحث الأول: مفهوم المقاصد والفكر عند البوطي.

أولا: المقاصد عند البوطي.

أسهب الكثير من الباحثين بتعريف المقاصد عند العلماء من حيث اللغة والاصطلاح واعتقد أنه ليس من الضرورة ذكر التعريفات في هذا المقال، ولسوف يقتصر الباحث على اسهاب البوطي عنها.

فالمطلع على كتب البوطي يجد أن المقاصد عنده لم تكن محدودة بمقال أو بحث حتى أنه كتب الكثير من المؤلفات المتنوعة، لكنه لم يؤلف كتابا يخصص فيه مقاصد الشريعة باللفظ الصريح سواء المقاصد العامة أو الخاصة، ولكن من خلال النظر في كتبه يجد الباحث أن لديه تعريفان الأول سار فيه على ما سار عليه الإمام الغزالي والثاني مختلف لفظا ومتحد معنى، وهما كالتالي:

الأول: قال: (ومقاصد الشارع في خلقه تنحصر في حفظ خمسة أمور الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول أو بعضها فهو مفسدة).[1]

1 البوطي، محمد سعيد رمضان، **ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية**، ص119.

الثاني: عند شرحه للقواعد الفقهية في الشريعة الإسلامية فقال: (هي عبارة عن المحور الذي تدور عليه أحكام الشريعة الإسلامية، وهي مصالح العباد، والدليل على ذلك أن الشريعة الإسلامية في كل أحكامها المنزلة والمبسوطة في سنة رسول الله ـ ﷺ ـ إنما تهدف إلى تحقيق مصالح العباد، وهي خمس مصالح). [2]

ومن هذين التعريفين يتبين أن المقاصد عنده محصورة بحفظ المقاصد الخمسة، وهو ما سار عليه العلماء وبالأخص الإمام الغزالي، والمقاصد الخمسة هي المعنى الشامل الكامل للفكر الإسلامي.

وليس هذين التعريفين فحسب يدلان على اسهابه في المقاصد بل المطلع على كل مؤلفاته وبحوثه وخطبة يجدها مليئة باستخدام ألفاظ المقاصد المشتقة فقد سماها مرة: بالقصد والمقْصَد والمقْصُود ويُقْصد، ثم استعملها بألفاظ أخرى مختلفة كالعِلة والمعنى والمناسبة والمصلحة، ومرة بالعبر والعظات.

ومما يؤكد أن القصد له اعتباره وحُكمُه التالي:

1ـ عند حديثه عن تحريم استعمال أواني الذهب والفضة فقال:(أن القصد مُحَكَّمٌ في قيم الأعمال الإنسانية المختلفة). [3]

2ـ عندما أخبر عن الذين لم يعجبهم ما قاله عن التوسل بالرسول ـﷺ ـ حيا أو ميتا، وعن ما اختاره من مشروعية القيام عند ذكره عليه الصلاة والسلام إكراما له ـﷺ ـ فاعترض عليه فئة من الناس فقال:

(... لا أستطيع بأي حال أن أغمض العين عن مَدرك الأحكام وأدلتها). [4]

فتقيد البوطي لتحكيم القصد في القيم الإنسانية المختلفة وعدم غمض عينه عن مدرك الأحكام وأدلتها يدل على عموم القصد وشموليته سواء كان في الأحكام الشرعية أو الفتاوى أو العقيدة أو الثقافات أو الفكر الإسلامي أو غيره، وهذا مما يبرهن أن المقاصد ليست خاصة بالأحكام فقط بل في جميع القيم ,والمبادئي ومنها الفكر الإسلامي.

---

2 البوطي، محمد سعيد رمضان، **شرح كتاب الأشباه والنظائر للإمام السيوطي**، الدرس الثاني، (فيما شرعت النية لأجله) صوتي، تاريخ 28/ 9/ 2010.

3 البوطي، محمد سعيد رمضان، **ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية**، ص127.

4 البوطي، محمد سعيد رمضان، **فقه السيرة النبوية، موجز لتاريخ الخلافة الراشدة**، ط (10) دار الفكر المعاصر، بيروت ـ لبنان، دار الفكر دمشق ـ سوريا، ص16.

ثانيا: الفكر في اللغة والاصطلاح.

الفكر لغة: هو إعمال النظر في الشيء كالفكرة والفكري[5] والفِكر: بالكسر تردد القلب بالنظر، والتدبر لطلب المعاني، ولي في الأمر فكر أي نظر، ورواية، والفَكر بالفتح مصدر فكرت، وفي الأمر من باب ضرب وتفكرت فيه، وأفكرت بالألف، والفكرة اسم من الافتكار مثل العبرة، والرحلة من الاعتبار، والارتحال وجمعها فُكر مثل سدرة، وسُدر.

ويقال: (الفكر) ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علما أو ظنا[6].

الفكر: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول، ويقال: لي في الأمر فِكر نظر ورأيه، ومالي في الأمر فِكر مالي فيه حاجه، ولا مبالاة.[7]

الفِكر بالكسر وبالفتح: إعمال النظر هكذا في النسخ، وفي المحكم: إعمال الخاطر في الشيء كالفكرة، بكسرها.[8]

الفكر في الاصطلاح

معلوم أن الفكر الإسلامي تسربت إليه نظريات وأفكار فلسفية وعقدية كثيرة أثرت في صورته المشرقة وأثمرت جدالات ومناظرات عميقة، نتج عنها ظهور مذاهب فلسفية، وعقدية وكلامية أحدثت سلبيات في صرح الفكر الإسلامي فوضع العلماء تعاريف اصطلاحية، تبلور الفكر الإسلامي من الفكر الفلسفي.

فقد عرفه الإمام الغزالي فقال هو: (إحضار معرفتين في القلب ليستمر منها معرفة ثالثه، وقد جعل الفكر مرادفا للتأمل والتدبر)[9]

---

5 Ya'qūb al-Fayrūz Abādī, Muḥammad bin *al-Qāmūs al-Muḥīṭ*, vol. 1 (Bayrūt: Muassasah al-Risālah, 2005), 588.

6 Al-Fayrūz Abādī Muḥammad bin Ya'qūb, *al-Miṣbāḥ al-Munīr fī Sharḥ Gharīb al-Kabīr*, vol. 2, (Lubnān: Maktabah Lubnān, 1987), 479.

7 Ibrāhīm Muṣṭafa, *al-Mu'jam al-Wasīṭ Taḥqīq Majma' al-Lughah al-'Arabiyyah*, vol. 2, (Iskandariyyah: Dār al-Da'wah, 2004), 698.

8 Al-Zabīdī Muḥammad bin Muḥammad bin 'Abd al-Razzāq, *Tāj al-'Arūs min Jawāhir al-Qāmūs*, vol. 13 (Dār al-Hidāyah, 1424H), 345.

9 Al-Ghazālī Abū Ḥāmid, *Ihya' 'Ulum al-Din*, vol. 4 (Bayrūt: Dār al-Nadwah al-Jadīdah), 425.

وعرفه إمام الحرمين فقال: (الفكر يدل على النظر، والنظر في اصطلاح الموحدين: هو الفكر الذي يطلب به من قام به علما أو غلبة ظن ثم ينقسم النظر إلى قسمين إلى صحيح، وفاسد)[10]

وذكره التهانوي[11]: بقوله (ولا أن النفس تلاحظ المعقولات، في ضمن تلك الحركة فقيل: الفكر هو تلك الحركة والنظر: هو الملاحظة التي في ضمنها، وقيل لتلازمهما أن الفكر والنظر مترادفان) [12]

وعرفه طه جابر العلواني فقال: (الفكر اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان سواء أكان قلبا أو روحا أو ذهنا بالنظر، والتدبر لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة، أو الوصول إلى الأحكام أو النسب بين الأشياء) [13]

وقيل: هو إعمال العقل في أمر مجهول، وترتيب أمور في الذهن، يُتوصل بها إلى معرفة حقيقية أو ظنية. [14]

تعريف الفكر الإسلامي عند البوطي

وأما تعريف الفكر في اصطلاح البوطي فقد وجد الباحث له تعريفين هما كالتالي:

الأول: ما يشمل سائر المحاولات والثقافات الدراسية للتعرف على جوهر الإسلام وحقيقته، ويشمل سائر التصورات الذاتية التي يعود بها الباحث أو الدارس دقيقة كانت أو سطحية، بل صحيحة كانت أم باطله بشرط أن تكون التصورات مطابقة لحقائق الإسلام. [15]

---

10 Al-Juwaynī, Abū al-Ma'ālī 'Abd al-Mālik *al-Irsyād ilā Qawāti' al-Adillah fī Usūl al-I'tiqād* ed. As'ad Tamīm (Bayrūt: Mu'assasah al-Kitāb al-Thaqāfiyah, 1985)

11 هو محمد بن علي القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، توفى سنة 1191هـ، وهو كاتب وعالم هندي، له العديد من المؤلفات هي: كشاف اصطلاحات الفنون، وسبق الغايات في نسق الآيات، وأحكام الأراضي.

12 Al-Tahānawī, Muḥammad 'Alī bin 'Alī *Kasyf Istilāhāt al-Funūn*, vol. 3 (Bayrut: Dār Sādir, 1996), 1121.

13 Al-'Ulwānī Taha Jābir, "al-Azmah al-Fikriyyah al-Mu'āsarah Tasykhīs wa Muqtarahāt" (Muntada Suwar al-Uzbikiyyah, al-Ma'had al-'Alami li al-Fikr al-Islami, 1994), 27.

14 "Bāb Himāyah al-Milkiyyah al-Fikriyyah fī al-Fiqh al-Islāmī," vol. 3 (al-Mu'tamar al-'Ālamī al-Thālith li al-Iqtiṣād, Jāmi'ah Umm al-Qurā Makkah al-Mukarramah, 2005), 65.

15 Al-Būṭī Muḥammad Sa'īd Ramaḍān, *al-Jihād fī al-Islām, Kayfa Nafhamuhu wa Kayfa Numārisuhu* (Dimasyq: Dār al-Fikr al-Mu'āṣir, 1993),11.

الثاني: هو ما يحمل في مكمنه العبودية لله ومقوماتها ومنمياتها، عند تبين أحكام الشريعة الإسلامية وتوضيح مقصودها، ومدلولها والغرض منها.[16]

فالناظر في تعريفات أهل اللغة والاصطلاح التي ذكرها العلماء والبوطي يجدها مختلفة لفظا ومتحدة في المعنى لكونها ثمرات واجتهادات وتصورات ذهنية يدركها العقل من أحكام الشريعة الإسلامية سواء كانت في الفتاوى أو أحكام الشريعة بصفة عامة للوصول إلى الغرض المطلوب، غير أن هذه التعريفات لم يوجد فيها نوع من التخصيص والربط بحقيقة وغاية ومقصد حتى تكون كتذكرةٍ وطريقٍ وسلوكٍ يسير عليها الباحث والقارئ وغيره، وهذا ما سلكه البوطي عند حديثه عن المقاصد والفكر الإسلامي.

ومما سبق يظهر أن مقاصد الفكر عند البوطي هي العلل والحكم الفكرية التصورية المبنية على قواعد وضوابط الشريعة الإسلامية لأجل الوصول إلى المعرفة الربانية لا لفك باب المجادلات والصراعات الشيطانية، وهذا في نظر الباحث الأشمل والأكمل، وذلك لسببين هما كالتالي:

1. تنبيه إلى ضرورة مطابقات هذه التصورات بحقائق الإسلام التي كشف عنها علومه ودلتْ عليه نصوصه.

2. تنبيه للمفكر عند تبيين أحكام الشريعة أن تكون توضيحاته تحمل معنى العبودية لله ومقوماتها. بعيدا عن الصراعات والمجادلات، بل كل همه هو تحقيق معنى عبودية الله في نفسه، وفي الأخرين.

المبحث الثاني: وسائل تنمية مقاصد الفكر عند المفكر.

أرشد الإسلام بالعديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى الوسائل التي تنمي مقاصد الفكر عند المفكر فالآيات والأحاديث لم تكن صريحة، وواضحة بكونها وسائل تنمي مقاصد الفكر، بل مفهومها ومضمونها أنها تنمي الفكر وتطوره؛ فقد قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : {تفكروا في الخَلق ولا تفكروا في الخالِق فإنكم لا تقدرون قدره}[17] أخرجه السيوطي، أبو الشيخ عن ابن عباس، وحققه الألباني وقال بضعفه.

فالأمر بالتفكر والتدبر بالخلق لابد له من وسائل ومصادر يكون بواسطتها، لكي تربط الإنسان بالآخرة، وتربط الإنسان بحياته الاجتماعية والحضارية، وقد لمح البوطي لسبب عدم تقدم الحضارة الإسلامية فقال:(...

16 Al-Būṭī Muḥammad Sa'īd Ramaḍān, *al-Hukm al-'Iṭa'iyyah: Syarh wa Tahlīl*, vol. 2 (Bayrut: Dar al-Fikr al-Mu'aṣir, 2003), 278.

17 Al-Ṭabrānī Abū al-Qāsim Sulaymān bin Aḥmad, *al-Mu'jam al-Awsaṭ* (Qāhirah: Dār al-Haramayn, 1415H), 6, 250.

إن عدم تقدم بناء الحضارة الإسلامية، هي وجود الاضطراب النفسي، والفكري)[18] فمتى وجد الاضطراب النفسي والفكري، هُدم الفكر الإسلامي، ومتى هدم الفكر هدم العلل والحكم التصورية منه الموصلة إلى المعرفة الربانية.

فمن الوسائل الرئيسية التي تنمي مقاصد الفكر عند المفكر هي كالتالي:

1ـ مصادر التشريع الإسلامي

قيد المولى عز وجل العباد بمصادر تشريعية تُعد كوسيلة وطريقة لتنمية الفكر ومقصوده، وهي الكتاب والسنة والقياس والإجماع والاستحسان، وقد أشار البوطي إلى أن المصادر التشريعية، وسائل توصل المفكر إلى الغاية والهدف الذي خلقنا من أجله فقال: (صحيح أن هذه العبادات وسائل، ولكن الذي لا يتخذ الوسيلة لن يصل إلى الغاية أبدا)[19]

ولا غرابة في أن يسمي البوطي المصادر التشريعية بالعبادات فهو من باب تسمية الجزء باسم الكل فكل هذه المصادر لابد للمفكر أن يستوعبها ويدقق معانيها ومقاصدها ويطلع على اختلاف العلماء والفقهاء فيها؛ ويستمر بالبحث والتدقيق فيها، فإذا كان المفكر أو العالم أو الفقيه أو الباحث مقتصرا على مصدر واحد أو مصدرين كمصدر الكتاب والسنة، وليس له معرفة علمية بالقياس واستنباط الأحكام والإجماع والاستحسان؛ فمن هنا يأتي الدمار للتصورات الفكرية ومقصودها، وتُفتح الطريق للعدو وأصحاب الفلسفات المغلوطة بالتدخل في التصورات التي يتصورها المفكرون والباحثون في الأحكام الشرعية.

فهناك كثيراً من التصورات اليوم التي تُطرح لحل كثيرٍ من المشاكل والقضايا، وكثيراً ممن ينصرفون إلى دراسات القضايا والمشكلات الإسلامية بقراءةٍ سطحية دون معرفة عللها ومقصودها، ثم يعودن بأفكار تبنوها وتصورها وركنوا إليها؛ وهذا مما يؤدي إلى زيادة حدة وتيرة الجدال والاختلاف في القضايا الإسلامية المتجددة، وفي حقيقة الحال يُعد دمارا وخرابا للفكر الإسلامي، ومقصوده، والسبب في ذلك عدم الرجوع إلى الكيفية التي سار عليها الأوائل من العلماء، في تصوراتهم للقضايا، وكيفية علاجها؛ فقد تكلم البوطي، عند حديثه

18 Al-Būṭī Muḥammad Sa'īd Ramaḍān, *Manhaj al-Haḍārah al-Insāniyyah fīal-Qur'ān al-Karīm* (Dimasyq: Dār Fikr Afāq Ma'rifah Mutajaddidah, 1981), 166.

19 Al-Būṭī Muḥammad Sa'īd Ramaḍān, "'Ajaban li man Yantaqī min al-Islām Zāwiyah Yasbighu Nafsahu bihā," (Khuṭbah Jum'ah, 1990) 3-8.

عن روَاج كلمة الفكر الإسلامي، مخبرا عمن يقرؤون الواقع بقراءةٍ سطحية فقال: (... لابد من مطابقات هذه التصورات بحقائق الإسلام التي كشفت عنها علومه، ودلت عليه نصوصه)[20]

فلا شك ولا غرابة أن البوطي يقصد بحقائق الإسلام العلل والحكم التصورية، فالبوطي يريد يوصل رسالة للذين يمجدون الفكر الإسلامي ويتحدثون عن إعجابهم به ويعتمدون في ذلك على أفكار مضيئة وعلل وحكم تصوروها عنه على حد فهمهم، وقناعتهم، وكذلك للذين ينتقدون الإسلام ويستشكلون كثيرا من أحكامه ومبادئه ويعتمدون على أفكار قاتمة تصوروها هم والآخرون، فتلك الفئتين لم تقيد أفكارها وتصورها بضوابط الحقائق العلمية الثابتة، بل أطلقت لأفكارها العنان، وتركتها تذهب في تصورها؛ ومن هنا يحصل الدمار لمقاصد الفكر الإسلامي ويَفْقَد المفكر تنميته وتطوره وقد أشار البوطي لذلك فقال: في هؤلاء (إن الأفكار المؤدية للإسلام ليس أقل خطرا على الإسلام من الأفكار المقاومة له)[21]

2ـ المعرفة بالعلوم الجانبية

هناك الكثير من العلوم الجانبية كالفلسفات القديمة والمعاصرة، وعلم المنطق، والمسائل الطبية الشرعية والسياسية الشرعية والتاريخ الإسلامي والرياضيات؛ فهي مما ينبغي للمفكر والعالم والفقيه بعد استيعاب المصادر الشرعية أن يكون ملماً بها وله سعة اطلاع فيها فهناك الكثير من العلماء الأوائل والمعاصرين من له فيها سعة، فما الذي جعل الإمام الغزالي يدحض جميع الفلسفات والتصورات التي كانت تحاك ضد الدين والعقيدة الإسلامية؟ لا شك أنها سعة اطلاعه ودراسته لأكثر من سنتين لعلم الفلسفة، فكانت ثمرة تلك الدراسة هي نماء وتطور التصورات الفكرية وعللها عنده، حتى استطاع أن يرد ما دُسَ في فكر الكثيرين من أذكياء عصره؛ بل وهناك الكثير في وقتنا المعاصر من يجمع بين علم المصادر الشرعية وغيرها من العلوم.

فالناظر في مؤلفات البوطي يجده فند كثيرا من الأقوال الفلسفية التي تحاك ضد العقيدة الإسلامية، وله الكثير من الفتاوى في المسائل الطبية الشرعية والسياسية.

لذا لن يستطيع المفكر أن ينمي فكره وتصوراته، ويعرف النوازل بشتى أنواعها سواء في العقيدة أو الفتوى أو السياسة الشرعية إلا إذا كان ملما بهذه العلوم، وقد نوه البوطي إلى ذلك فقال (...سبيل الوصول إلى

20 Ibid., 12.

21 Ibid.

واقع الإسلام كما هو واقع في عقيدته وأحكامه سبيل شاق تحتاج إلى دراسة دقيقة لطائفة من العلوم، وهضمها وربط ما بينها وبين مدركاتها من النصوص الثابتة، وإدراكها بقواعد تفسير النصوص)[22]

3ـ الحواس الخمس

تتمثل الحواس الخمس بالبصر، والسمع والشم، والتذوق، واللمس، فهي نعمة من الله تعالى أنعم بها على الإنسان ليدرك الأشياء، والتعرف على ماهية الأمور، قال تعالى ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل:78) وقال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء:36) فسؤال رب العباد ـ العباد يوم القيامة عن الحواس الخمس يدل على أنه يجب على الإنسان الحفاظ عليها، فبالحفاظ عليها من جميع المعاصي والسيئات ينمو فكر الإنسان، وقد دعا القرآن الكريم الناس إلى استعمالها ليصلوا عن طريقها إلى العلم النافع في مجال الدين والفكر الإسلامي.

وكل ما يَمُر في هذه الحواس يصل إلى محل التكليف وهو العقل، فهو المصدر الأساسي، والوسيلة العظمى لبناء الفكر الإسلامي، ولكننا نعني بالعقل العقل السليم الخالي عن الاضطرابات النفسية، والقائم في تدبره واعتباره على الضوابط الشرعية البعيدة عن اللغو والتطرف، والإفراط والتفريط.

وقد أخبر البوطي عن وظيفة العقل فقال:(...بأنه يقبل على الأشياء فيدركها على حقيقتها وأن يستدل بظواهر الأمور على ما ورائها، وأن يتوصل من وراء ذلك إلى معرفة الله وإلى الإيمان بوحدانية الله عز وجل)[23]

وقد أشار القرآن الكريم إلى العديد من الآيات التي تدل دلالة واضحة أن العقل هو المصدر الأساسي لتنمية مقاصد الفكر، ولن نستطيع أن نصف العقل بالوسيلة لتنمية الفكر ومقصوده إلا إذا تحلى بهذه الجوانب التي تجعل منه مفكرا إسلاميا، وهي كالتالي:

أ ــ التفكر من حيث الكلية

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ والسحاب المسخرْ بينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 164)

---

22 Ibid.

23 Al-Būṭī Muḥammad Sa'īd Ramaḍān, *Min al-Fikr wa al-Qalb, Fuṣūl min al-Naqd fī 'Ulūm al-Iǰtimā'iyyah wa al-Adab* (Abū Ẓabī: Dār al-Faqīh li al-Nasyr wa al-Tawzī', 1997), 122.

ابن كثير قال: فكل ما في هذه الآية جعلت علامة وتصور لقوم يعقلون[24].

وقال فيها البوطي عند حديثه عن الحكمة السابعة والخمسون بعد المئة الثانية فقال: إن متعلقات التفكر الذي يأمر به الله تعالى في محكم تبيانه أحيانا تكون متعلقة بالمخلوقات من حيث دلالتها على وجود الخالق، وعلى البعث والنشور[25]، فكلا التصوران يشيران إلى إدراك معنى العبودية لله تعالى، وإذا أدرك الإنسان معنى العبودية لله تعالى أزداد فكره نموا وصفاءً.

ب ــ التفكر من حيث الجزئية.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (يس:68) يخبر الله ـ عز وجل ـ عن هذه الدار بأنها دار زوال، وانتقال إلى دار دوام واستقرار، ولهذا قال الله: أفلا يعقلون أي يتفكرون بعقولهم في ابتداء خلقهم ثم صيرورتهم إلى سن الشيبة، ثم إلى الشيخوخة ليعلموا أنهم خلقوا لدار آخرة لا زوال لها وانتقال.[26]

فالذي ينجلي أن الله يستنكر على من يعمر ثم ينكس في خلقه حتى تظهر عليه تغيرات، وتحولات في جسمه وحواسه، وهو لم يعقلها بمعنى لم يتفكر في هذه التغيرات التي تحدث له في عمره ففيه إشارة إلى التفكر حتى يثبت في نفسه صفة البقاء لله وإثبات صفة الفناء للمخلوق، وثبوت صفة البقاء لله دال على نماء فكره بهذه الوسيلة.

ج ـ التفكر في جانب التفاوت

قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الرعد: 4)

يخبر الله أن هناك قطع متجاورة في الأرض منها قطع تنبت ما ينفع الناس، ومنها قطع سبخه مالحة لا تنبت شيئا ﴿وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ فمعنى الصنوان الأصول المجتمعة في منبت واحد، كالرمان والتين، وبعض النخيل، وغير الصنوان ما كان على أصل واحد كسائر الأشجار، وكلها تسقى

24 ‘Ibn Kathīr Imād al-Dīn Abī Fidā’ Ismā‘īl, *Tafsīr al-Qur’ān al-‘Aẓīm*, vol. 1 (Qāhirah: Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabiyyah, 1374H), 201.

25 Al-Būṭī, *al-Hukm al-‘Iṭa’iyyah*, 5, 335.

26 Al-Ṣābūnī Muḥammad ‘Alī, *Mukhtaṣar Tafsīr Ibn Kathīr*, vol. 3 (Bayrūt: Dār al-Qur’ān al-Karīm, 1393H), 3, 161.

بماء واحد، هذا حلو وهذا حامض، وهذا في أشد المرارة، وكذلك أشكالها وألوانها وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار الذي بقدرته فاوت بين الأشياء فجعل ربنا هذه علامات لقوم يعقلون.[27]

يمكن القول لماذا جعل المولى ـ عز وجل ـ هذا التفاوت العجيب آية لقوم يعقلون لكي يتفكر الإنسان، وهذا دال على أهمية هذا الجانب في تنمية التصورات الفكرية.

3ـ الإخلاص

الناظر في قوله تعالى﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة:5) يجد أن الله شرط في العبادة الإخلاص، فكل العبادات التي يفعلها الإنسان لا تخرج عن المصادر التشريعية وعن الحواس الخمس، ولن يكون الفكر فكرا إسلاميا بالمعنى الحقيقي إلا إذا كان مربوطا بالإخلاص لله تعالى، فالناظر والمطلع على فكر البوطي يجده دائما يربط فكره بالمعرفة الربانية وبالإخلاص لله تعالى لا لأجل طلب المال ولا لأجل الشهرة، فقد كان رحمه الله دائما يدعو الله تعالى أن يثبته على الإخلاص والمعرفة فكان يقول: (...اللهم إني أعرفك اليوم من دون أي وساطة من دليل، فثبتني اللهم على هذه المعرفة الصافية، عن شواغل الأقيسة والبراهين، ساعة ارتحالي من دنياي هذه إلى رحابك، وأكرم بمثل ذلك كل من يلتجئ إليك بمثل هذا الدعاء)[28] فالمعرفة الصافية التي يطلب من الله أن يثبته عليها هي معرفة الله والإخلاص له والابتعاد عن الرياء والمجادلات، وهذا مما جعل فكره يتنامى نموا صحيحا وزاده معرفة علمية وقوى قدراته المقاصدية، وأكسبه قدرة فائقة حتى ربط القديم بالجديد، والحضور الدائم في كل المحافل والمؤتمرات العلمية والفكرية.

المبحث الثالث: دور مقاصد الفكر عند محمد سعيد رمضان البوطي

لم تكن التصورات التي كان يتصورها الشيخ البوطي في جميع مؤلفاته وبحوثه ومقالاته وخطبة المرئية والمسموعة تنحاز لجهة معينة لأجل مالٍ أو شهرةٍ أو مؤسسةٍ كما يقال: أو بحثاً عن المريدين، بل المطلع والناظر في شروحاته ومواقفه وفتاواه يجدها تتسم بالمصداقية والإخلاص، ضد كل من أراد التلاعب بالفكر الإسلامي ومبادئه، فقد كان شيخاً ينتمي إلى الطريقة الصوفية، لكنه وقف ضد الصوفية، وصحح ونبه إلى جميع البدع والخرافات التي يتمسكون بها، وما من جماعة إلا وله دور وريادة معهم إما بنصح أو ببيان أو

27 Ibn Kathīr, *Tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm*, vol. 4, 431.

28 Al-Būṭī, *al-Hukm al-'Iṭa'iyyah*, 32-34.

تحذير أو بدفاع، أو استدراك، وقد أخبر، وأكد لنا مضمون تصوراته الفكرية فقال: (... قررت أن لا أجعل لفكري الشخصي أي دور إلا أن يكون بيان أو إيضاح)[29]

ولا شك أنَّ البيان والإيضاح الذي يقصده البوطي هو التصحيح للأفهام وبيان المقصود من التصورات الفكرية سواء كان من جانب الإيضاحات، أو التحذير والدفاع.

فبعد الاستقراء والمتابعة قسمت هذا الدور إلى عدة طرق، وذكرت بعض النماذج التطبيقية الدالة عليه فهي كالتالي:

طريق الإيضاح

بين البوطي معالم الإسلام، وحدوده، وأهدافه، فلم يكن فكره مقتصرا على سرد الشريعة بأحاديثها وأحكامها، بل ربط الأحكام بعللها وحكمها، وكشف الحروب الفكرية الخبيثة التي تسعى لهدم العقيدة الإسلامية، وردَ على كثير من المؤلفات والبحوث والمقالات لبعض الكتاب المسلمين والمستشرقين.

فكل هذه النماذج التي استقيتها من مؤلفات لها غرض ومقصد فكري، فمن الإيضاحات التالي:

ـ بين الحرب الخفية على الإسلام، التي تَسلحَ بها المستشرقون بعد أن فشلت كل الحروب والمحاولات الفكرية الخبيثة لهدم العقيدة الإسلامية، فتوجهوا إلى أصول الفقه، فتخذوه سلاحا للنيل من الشريعة الإسلامية، وقد أوضح البوطي فيه فقال: (... ثم راحوا يفسحوا الطريق إلينا أمام كل ما تسفيه علينا رياح الغرب والشرق من مفاسد وموبقات توهموها مصالح، وسببا للرقي، وقالوا أنها كلها مصالح، ثم استداروا إلى أصول الفقه الإسلامي فقالوا المصالح معتبرة في الإسلام، وقالوا أن مدنية الغرب بأوضارها، ونظم الشرق بماديتها، وفسادها معتبرة في الإسلام!) [30]

فالغرض من هذا الإيضاح لكيلا تنسجم عقول الباحثين، والقراء بما يقوله الغرب وينجروا بعدهم فيهدمون الدين والعقيدة والفكر الإسلامي بدون شعور تحت مسمى مصالح معتبرة في الإسلام.

ـ عندما رأى البوطي كثرة المؤلفات، والمقالات عن الحضارة، وأهميتها لكتَّاب مسلمين ومستشرقين، وكلها تسلك في معالجة الحضارة مسلكا وصفيا أنيقا، يقوم في الغالب وسط إطار من مظاهر الدهشة،

29 Al-Būṭī, *al-Jihād fī al-Islām*, 12-13.

30 Al-Būṭī Muḥammad Sa'īd Ramaḍān, *Dawabit al-Maṣlaḥah fī al-Syarī'ah al-Islāmiyyah*, 2nd ed. (Dimasyq: Mu'assasah al-Risālah, 1965), 12.

وعبارات الإكبار والإعجاب، وربما جاء كله أو جله مقرونا برسوم وصور موثقة، تزيد من مقتضيات الإعجاب بها والتمجيد لها) [31]

فقد أوضح فيه ما تركه الباحثون الذين يظنون أنهم بحثوا عن الحضارة! ولم يعثروا على أصول متكاملة تصلح أن يتكون منها منهج تربوي إسلامي كامل، أو نظريه كامله للتربية الإسلامية، تنبع من منظور الكتاب، والسنة، ثم قال بأن جذور الحضارة الإنسانية هي جذور للتربية الإنسانية المثلى، إذ أن الحضارة الإنسانية ليست أكثر من ثمار لجهود التعاون الإنساني، في نطاق الاستفادة من ذخر الأرض وخيرها، ومقصود البوطي من ذلك هو إعادة الميل الذي مال به الكاتبون والقراء حول الحضارة الإسلامية، حتى تُعاد للحضارة قيمتها وأهميتها في المنهج الرباني، والأمة الإسلامية.

طريق التحذيرات والدفاع.

المطلع على حديث العلماء قديما وحديثا يجد لديهم الكثير من التحذيرات والدفاعات ضد كل ما يخرج الأحكام والمواقف النبوية عن مقصودها ومدلولها، وذلك مسلك القرآن والسنة النبوية، ومسلك ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالمطلع على التحذيرات التي كان يصدرها البوطي عند حديثه في الشريعة الإسلامية يجدها متنوعة بين التحذير والردع والنصح والإرشاد من الجاهلين والمغاليين، وطرفي الإفراط والتفريط، فمن ذلك التالي:

ـ حذر مما يحدث في بعض مجالس الصوفية من البدع المخالفة لمقاصد الشريعة من وقوف المريد عليهم، وهم جلوس يقف الواحد منهم في انكسار وذل مطرقا لا يطرف إلا أن يؤذن له بالجلوس، وأيضاً ما يفعله بعضهم من السجود على ركبة الشيخ أو يده عند قدومه أو ما يفعله من الحبو عندما يغشى المجلس، ثم نبه المسلم إلى عدم الانجرار إلى ذلك نافيا أن يكون ذلك من أسلوب التربية، ومنوها بأن الإسلام قد وضح ضوابط وشروط للمسلم يسير عليها ولا يجوز له الخروج عنها أو مضمونها فقال:(... لا يخدعنك ما قد يقال: في تسويغ ذلك من أنه من أسلوب التربية للمريد، فالإسلام قد شرع مناهج وأساليب التربية وحظر على المسلمين الخروج عليها، وليس بعد الأسلوب النبوي في التربية من أسلوب يقر عليه أو يعاج عليه)[32]

31 Al-Būṭī, *Manhaj al-Haḍārah*, 9.

32 Al-Būṭī Muḥammad Sa'īd Ramaḍān, *Fiqh al-Sīrah al-Nabawiyyah Ma'a Mūjiz li Tārīkh al-Khilāfah al-Rāsyidah*, 11th ed. (Bayrūt: Dār al-Fikr al-Mu'āṣir, 1991), 335.

ـ نبه إلى ما يتلبس به بعض الذاكرين من التفوه بأصوات ليست من ألفاظ الذكر في شيء، وإنما هي حمحمات وهمهمات تُصَاعد من حلوقهم ليتكون منها دويء متناسق معين ينسجم مع توقيع المنشدين والمطربين فيحدث مزيدا من النشوة والطرب في النفوس، فتساءل البوطي مستغربا منهم واصفا لعملهم بالبدعة، فقال: (... كيف يكون هذا ذكرا لله كالذي أمر الله به، والذي كان يفعله الرسول وأصحابه، فلم يفعل ذلك إلا قلة مبتدعه شرعوا من الدين مالم يأذن به الله فكم من محرمات أستحلوها ومن موبقات ارتكبوها باسم الوجد أو التواجد آنا وباسم الانعتاق من رقبة التكاليف آنا أخر)[33]

ـ عند حديثه عن الوجد في وقت الذكر، وعن الحركات التي تشبه الرقص بدون قصد ولا اختيار، فقد استنكر وحذر على من ينسجون على منوالهم تقليدا لهم، وأفئدتهم خاوية، عن هذا الحال فهم أنما يمارسون بذلك نوعا من النفاق بالإضافة، إلى كونهم يخالفون في عملهم التقليدي أحكام الشرع، ... ثم أخبر بأن والده كان من أشد العلماء إنكارا لتكلف هذه الحال، واختلاف نتائجه دون وجود لمقدماته.[34]

ـ استنكر على بعض المريدين الذين يرون الخوارق على أنها كرامات عن شيوخهم دليلا على ولاياتهم وعظيم قربهم من الله فقال: (... ما يردده بعض المريدين عن مشايخهم من اختزال المسافات تحت أقدامهم والطيَّ الذي يختصر لهم حواجز ما بين البلدان المتباعدة في دقائق ولحظات، ... واصفا ذلك بالمبالغات، وربما بالأكاذيب، ويعود سبب ذلك للحب لشيوخهم أو العصبية التي تلعب دورا كبيرا فيهم... ثم قال: لو وقفت على الكثير من هذه المبالغات التي يختلقونها بوسعك تلاحظ أثر العصبية في ذلك.)[35]

ـ حذر الدعاة من ممارسة السياسية قبل التمكن في الدين، وأن لا يستخدموا الدين طريقا للوصول إلى الحكم والملك، وبين القصد من إرشاده وتحذيره فقال: (... حتى لا تشوب هوياتهم الإسلامية شائبة قصد سياسي فتزول ثقة الناس بهم فإذا تغلب الخير وشاع الالتزام بدين الله في المجتمع اصطبغ الحكم آليا بصبغة الإسلام ونظامه، فإذا ظلت رغبتهم مع ذلك باقيه في بلوغ الحكم، فهم إذن طلاب مغنم دنيوي لا طلاب جهاد إسلامي) [36]

---

33 Ibid. 444.

34 Al-Būṭī, *al-Hukm al-'Iṭa'iyyah*, vol. 3, 30.

35 Ibid., 75.

36 Al-Būṭī, *al-Jihād fī al-Islām*, 195.

ـ استنكر عندما استفتاه سائل عن بعض الصوفية الذين يقولون أن المريد الذي يريد يخرج من الطريقة التي عاهد شيخه فيها إلى طريقة أخرى فهو مرتد ... فردَّ البوطي ردا قائما على ضوابط الشرع لم ينحاز إلى منهجيته بل قال: (...لم يقل الله في قرآنه ولا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أحاديثه ولا أحدا من علماء العقيدة أو الشريعة أن خروج المسلم من طريقة من طرق التصوف إلى طريقة أخرى تخرجه من الإسلام، فوضح البوطي موقفه من هؤلاء الصوفية مع أنه يحمل منهج التصوف، ومن محبيه إلا أنه أظهر الموقف الصحيح، ولم يجامل ولم ينحز لهم؛ وهذا مما يدل على أن البوطي كانت مواقفه تسير على منهجية الوسطية الشرعية، ومما يدل على ذلك هو نصيحته إلى عدم الالتفاف إلى مشايخ طرق الصوفية الذين لا توجد لديهم حصيلة علمية واسعة فقال: (... المشكلة أن قسما كبيرا من مشايخ الطرق جهال ليست لهم ثقافة شرعية كافية، ولا معرفة كافيه بمبادئ العقيدة الإسلامية عدا ما يعانون منه من العصبية لأفكارهم وقناعتهم الصوفية، فلا تلتفت إلى ما يقوله: هؤلاء الجهال الذين يحاولوا أن يكثروا من مريديهم وينافسوا غيرهم بهذه الطريقة.)[37]

ـ اعترض واستنكر على خطأ كبير يتورط فيه بعض المرشدات، الصوفيات فقال: (الكثير منهن تفاجئ طالباتها أو مريداتها خلال الدقائق الأولى من جلوسها إليهن بأنها تشم رائحة معصية تسود المجلس، فإن عليها أن تغادر المجلس حتى تتوب من المعصية، فبين البوطي الغرض من هذه الفعل بأنه يوحي إلى المريدات بأن المرشدة بصيرة بسرائرهن خبيرة بالخفي من أوضاعهن إذ أنها تتمتع بصفاء روحي وروحاني، يمتعها بالكشف ويرفع عنها الحجاب، فبين البوطي موقفه من تلك المرشدات مستندا بواقع النبوة فقال فمتى كان المرشدون الربانيون بدءاً من الرسل والأنبياء، يوحون إلى اتباعهم هذه الدعوى، ويزوجونهم في هذا القلق المهلك)[38]

ـ عندما حاول بعض الكتاب، وبعض السلفية بحديثهم عن منهجية الإمام الغزالي أن يوجهوا عقول الناس والباحثين إلى الفلسفات التي تركن نفوسهم إليها ويريدوا أن ينهجوا بالأفكار منهجا ماديا ينأ عن الصراط الإسلامي، ومبادئه، فهؤلاء ينهجون إلى فلسفة أمثال ابن سينا وابن رشد والفاربي ومن سلك

37 Al-Buti Muhammad Sa'id Ramadan, Istifta'at al-Nas, 119, http://www.naseemalsham.com.

38 al-Būṭī, *al-Hukm al-'Iṭa'iyyah*, 2, 40.

مسلكهم، والغريب أن فلسفة هؤلاء تمثل الفكر التقليدي الرجعي القديم المتقوقع في الفلسفات الإغريقية القديمة، وأيضا ما يقوله بعض السلفية بأنه شذ عن صراط السلف وهديه وانحرف بذلك وابتدع!)[39]

فدافع البوطي عن الإمام الغزالي وبين فلسفة الإمام الغزالي بأنها تحمل الفكر التقدمي المتجدد الثائر على القديم الذي تبين خطؤه، وكذلك ما يقوله السلفية بأنه شذ عن صراط السلف، فقد تسأل البوطي فقال، وهل الذي حصن العقل الإسلامي المتحرر ضد وباء تلك الفلسفة وغثائها أحد غير الغزالي عندما تعلمها فكشف الزيف الذي فيها، وأطفأ بريقه الخداع بموازينه العلمية الدقيقة، ثم رمى به بعيدا في أودية الإهمال والنسيان؟

ومقصود البوطي من دفاعه عن الغزالي هو الحفاظ على التراث الإسلامي الذي أبدعه الإمام الغزالي، فلو أن تلك الأقوال التي تقال على الإمام الغزالي ولم يوجد من يرد عليها ولا يدافع عنها لانتشرت بين العامة والخاصة ولكانت سلبيتها أكثر من إيجابياتها، وبهذا سيكون دمار الفكر الإسلامي.

ـ عندما أعتمد بعض الكاتبين في جواز تخصيص السنة بالمصلحة ـ بحجة أن مالكا رحمه الله كان لا يبالي أن يخصص أخبار الآحاد بالمصلحة المرسلة، كما جاء في المدخل إلى علم أصول الفقه، قوله: والطائفة الثانية تأخذ بالمصلحة، ولو لم يكن لها أصل يشهد لها بالاعتبار، غير أنهم يقفون بها موقف المعارضة للنصوص ويخصصون بها النصوص التي لا تكون قطعية، وقد أخذ بذلك المالكية، فدافع البوطي ما نُسب إلى الإمام مالك فقال: لا يوجد في فقه الإمام مالك ما يسمى بتخصيص المصلحة المرسلة أو المجردة للسنة أو الكتاب بل ولا يتصور ذلك أن تأتي المصلحة المرسلة مخالفة لكتاب أو سنة إذ أن ذلك إخلال بإرسالها، ولكن الأمر قد يشتبه على من لم يقف على أصوله في الاجتهاد عند تعارض النصوص مع بعضها أو تعارض النصوص مع القياس.

ـ عندما توهم كثير من الكتاب أن سد الذرائع من خواص الإمام مالك نفى البوطي مدافعا عن ذلك ومبينا أن الذرائع ثلاثة أقسام قسم أجمعت الأمة على سده ومنعه وحسمه كحفر الآبار في طرق المسلمين فأنها مؤدية لهلاكهم، وقسم أجمعت الأمة على عدم منعه وأنه ذريعة لا تسد ووسيلة لا تحسم كالمنع من

39 Al-Būṭī Muḥammad Sa'īd Ramaḍān, "al-Imām al-Ghazāli Dhū Fikr Manhajī Fadh wa Ikhtiṣāṣāt 'Ilmiyyah Syattā," *Majallah al-Turāth al-'Arabī*, January 1986, 11.

زراعة العنب خشية الخمر، وقسم اختلف فيه العلماء هل يسد أم لا كبيوع الآجال ومسائل الإمام مالك في البيوع تصل إلى ألف مسألة اختص بها مالك وخالفه الشافعي، واستدل بكلام الإمام القرافي.[40]

طريق الاستدراك:

المطلع والمدقق في مؤلفات البوطي يجد أنه استدرك على الكثير من الكتاب والمؤلفين والمفكرين والفقهاء وليس استدراكه محصورا بفئة معينة أو جماعة مخصوصة، فحيثما وجد الخطأ أو الخروج عن الشرع ومقصوده أو الكلام المغلوط استدرك عليه، ورده إلى صوابه، والقصد من ذلك حفاظا على الدين والفكر من التلاعب والانحدار فمن الاستدراكات التالي:

ـ عندما تحدث البوطي عن منهج الإمام الشافعي، بكونها رمزا بل تأريخا لنشأة البحث عن المعرفة استدرك البوطي على بعض الكاتبين والباحثين الذين يتحدثون في حديثهم ومدوناتهم ويقولون أن الإمام الشافعي هو أول من وضع علم أصول الفقه، فاستدرك البوطي على هذا القول بأنه غير دقيق، ويعني هذا بأنه أول من أكتشف علم أصول الفقه، واتخذه منهاجا في اجتهاداته الفقهية، فإن استعمال المنهج الأصولي يعود إلى ما قبل عصر الشافعي، بل لا نشك في استعماله والاعتماد عليه بدءاً من عصر الصحابة، فإن فكرة أصول الفقه لم تصل إلى الشافعي إلا وقد بلغت أطواراً عديدة، وبلغت حدا كبيراً من النضج، فإن التعبير السليم الذي يمكن أن نتخذه هو أن الشافعي أول من دون أصول الفقه وأصَّل قواعده، وهو التعبير الذي جنح إليه قدماء المحققين كالجويني والإمام الرازي وابن خلدون.[41]

بعد حديث البوطي عن اليقين العلمي، واليقين التدريبي الذي تحدث عنهما الإمام الغزالي في كتبه، وجزم البوطي أن أول من كشف عن الفرق بين اليقين العلمي واليقين التدريبي، هو الإمام الغزالي، وكم من أوصاف إيجابية يصف البوطي بها الإمام الغزالي من حيث منهجية علمه، وفكره وإخلاصه، لكنه استدرك عليه من خلال كتابه إحياء علوم الدين، فقد وصفه بالكتاب النادر، ومن أعاجيب المؤلفات في تاريخ التشريع الإسلامي، إلا أنه قال: هذا الكتاب فيه ثغرة من النقص، وهي وجود كثير من الأحاديث الضعيفة وربما الأحاديث الموضوعة، وقد قيض الله من يأتي بعد الغزالي ويتدارك هذا النقص وهذه الثغرة، فقد أقبل العراقي 806هـ، وجمع الأحاديث الواردة، وكان ذيلا مباركا.[42]

---

40 Al-Būṭī, *Dawabit al-Maṣlaḥah*, 188-273.

41 Nasīm al-Syām, *Manhaj al-Imām al-Syāfi'ī*, 2, http://www.naseemalsham.com.

42 Ibid., 9-10.

نتائج البحث:

مما تقدم توصل الباحث إلى النتائج التالية:

i الفكر الإسلامي السليم هو ما طابقتْ جميعُ علله وحكمه وتَصوراتْ مدْلولهِ مصادر التشريع، ومقْصدِه، ورُبِطَ بالمعرفة الربانية والعبودية لله، وإذا انفصل الفكر عن القصد والعبودية، فلا عبرة به لكون القصد جزء لا يتجزأ من المصدر.

ii المفكر الإسلامي هو من يملك سعة الإطلاع على الكثير من العلوم المختلفة كعلم النفس والفلسفة والمنطق، وله القدرة على ربطها بمصادر التشريع واستنتاج مقاصدها.

iii وسائل تنمية الفكر الإسلامي عند البوطي تبعد الإنسان عن الإفراط والتفريط، وتنمي عنده القدرة العقلية والفكرية، وتساعده على ربط التصورات الفكرية الحديثة بقديمها.

iv دور الفكر الإسلامي في جميع طرقه تحقيق لمعنى العبودية لله ونفع الآخرين، وليس خادما للصراعات، والمجادلات الخادمة للنفس والهوى والشيطان.

وعليه يوصي الباحث بالتالي:

يوصي الباحث جميع المفكرين والباحثين المعاصرين، أن يراعوا عند تصوراتهم الفكرية مصادر التشريع الرباني ومقاصدها، وأن لا يجعلوا الفكر يخرج عن إطار المقصد والحكمة التي جعل لها، فالتلاعب بالمقاصد تلاعب بالأحكام والتلاعب بالأحكام تلاعب بالمصادر الأساسية للتشريع القرآني والسنة النبوية.

وأيضا يوصي بسعة الإطلاع على علم المنطق والفلسفة وغيرهما من العلوم؛ فهي الحل الذي من خلاله تُوجد القدرة على نزع وصد الأفكار والصراعات الدخيلة في التشريع الإسلامي.

المراجع:

ابن كثير، الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، إحياء الكتب العربية، ج1.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي1420هـ – 1999م، سامي بن محمد سلامة تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ج4، ط2.

إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط تحقيق مجمع اللغة العربية (دار الدعوة) ، ج2

البوطي، محمد سعيد رمضان، 1414هـ ـ 1993م، الجهاد في الإسلام، كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟ دمشق سوريا: دار الفكر المعاصر، بيروت ـ لبنان: دار الفكر، ط 1.

البوطي، محمد سعيد رمضان، 2003م الحكم العطائية شرح وتحليل بيروت ـ لبنان، دمشق ـ سوريا: دار الفكر المعاصر، دار الفكر،ج2.

البوطي، محمد سعيد رمضان، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، آفاق معرفة متجددة.

البوطي، محمد سعيد رمضان، 1990م عجبا لمن ينتقي من الإسلام زاوية يصبغ نفسه بها، خطبة جمعة.

البوطي، محمد سعيد رمضان، 1997م من الفكر والقلب، فصول من النقد في العلوم الاجتماعية والأدب دار الفقيه للنشر والتوزيع طبعة جديدة.

البوطي، محمد سعيد رمضان، 1965م، ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة ط2.

البوطي، محمد سعيد رمضان، 1411هـ 1991م، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة دراسات منهجية علمية لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وما تنطوي عليه من عظات ومبادئ وأحكام، بيروت لبنان:دار الفكر المعاصر، دمشق سوريا: دار الفكر، ط 11.

البوطي، محمد سعيد رمضان، استفتاءات الناس.

البوطي، محمد سعيد رمضان 1986م الإمام الغزالي ذو فكر منهجي فذ، واختصاصات علمية شتى مجلة التراث العربي، دمشق العدد22 يناير.

التهانوي، محمد علي بن علي 1996م، كشف اصطلاحات الفنون بيروت: دار صادر، ج3.

الجويني، أبو المعالي عبد الملك تحقيق أسعد تميم، 1985م الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط1.

الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الجزء 13.

الصابوني، محمد على، 1393هـ، مختصر تفسير بن كثير، بيروت: دار القرآن الكريم، ج3، ط 1.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، 1415 هـ، المعجم الأوسط، دار الحرمين: القاهرة،ج6.

العلواني، طه جابر، 1414هـ إبريل 1994م، الأزمة الفكرية المعاصرة تشخيص ومقترحات منتدى سور الأزبكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي هيرندن فرجينا رمضان.

الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، بيروت: دار الندوة الجديدة، ج4.

الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط ج1.

الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، المصباح المنير في شرح غريب الكبير، ج2.

BIBLIOGRAPHY

Ibn Kathīr ‘Imād al-Dīn Abī Fidā’ Ismā‘īl, *Tafsīr al-Qur’ān al-‘Aẓīm*, vol. 1 (Qāhirah: Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabiyyah, 1374H)

Ibn Kathir 'abu alfada' 'iismaeil bin eumar alqurshuy alddimshiqi, sami bin muhammad salamat1420h - 1999m tafsir alquran aleazim, (; dar tayibat lilnnashr walttawziei,), ja4. t2

Ibrāhīm Muṣṭafa, *al-Mu‘jam al-Wasīṭ Taḥqīq Majma‘ al-Lughah al-‘Arabiyyah*, vol. 2, (Iskandariyyah: Dār al-Da‘wah,)

Al-Bawti Muhammad Saeid Ramadan, 1414 1993, al-Jhad fi al-Iislam, Kayf nufhimih? wakayf numarisuh? al-Tbeat al-Uwlaa; Dimashq Surya: Dar al-Fikr al-Maeasir, Bayrut Lubnana: dar alfikr.

Al-Buti Muhammad Saeid Ramadan, 2003 al-Hukm al-Eitayiyat Sharah Watahlyl (5; bayrut lubnan: dar alfikr almueasir dimashq swrya: dar al-Fakr,), 2.

Al-Bawti Muhammad Saeid Ramadan, Manhij al-Hadarat al-Insaniat fi al-Quran al-Karim Afaq Maerifat Mutajaddidat.

Al-Buti Muhammad Saeid Ramadan1990, Eajabanaan liman yantaqi min al-Islam Zawiat yusbagh nafsih biha (Khitbat Jumeat).

Al-Buti, muhammad saeid ramadan1997 min alfikr walqalbi, fasul min alnnaqd fi aleulum alaijtimaeiat wal'adibi, (tabeat jadidat; dar alfaqih lilnnashr walttawzieu, m)

Al-Buti muhammad saeid ramadan 1965m-1385h, dawabit almaslahat fi alshryet al'iislamia muassasat alrrisalati, t2

al-Buti muhammad saeid ramadan, 1411h 1991m faqh alssirat alnnabawiat mae mujaz litarikh alkhilafat alrashidat dirasat manhajiatan eilmiatan lisirat almustafaa salla alllah ealayh wasallam wama tantawi ealayh min eizzat wamabadi wa'ahkami, t 11 bayrut libnan:dar alfikr almaeasir, dimashq suria: dar alfakr

Al-Buti muhammad saeid ramadan, aistifta'at alnnasi.

Al-Buti muhammad saeid ramadan1986m al'iimam alghizali dhu fakkar manhaji fdh, waikhtisasat eilmiat shatta" majallat altturath alearabi dimashq aleudd22 ynayr

Al-Tihanui Muhammad Eali bin Eli1996, Kashf Astilahat al-Fununa Birut: Dar sadir 3

Al-Juini 'abu almaeali eabd almalik 1985 tahqiq 'asead tmima, al'iirshad 'iilaa qawatie al'adillat fi 'usul alaietiqad byrwt: muassasat alkutub alththaqafiati, t1

Al-Zzabaydi, mhmmd bin mhmmd bin eabd alrzzaq alhsyni, taj aleurws min jwahr alqamws dar alhdayt, aljuz' 13.

Al-Ssabuni muhammad ealaa1393h, mukhtasir tafsir bin kthyr (t 1; birut: dar alquran alkarim,), j3.

Al-Tubrani, abu al-Qasim Sulayman bin Ahmad1415, al-Mejm al-Awsat, 6319(10; Dar al-Hrmyn: al-Qahrh,)6.

Al-Eulwani Th Jabir, 1414 ,iibril 1994 al-Azmat al-Fikriah al-Mueasirat tashkhis wamuqtarahat (Muntadaa Suar al-Azbakiti: al-Maehad al-Ealami lilfikr al-Iislami Hirindn Farajina Ramadan).

Al-Ghazzali 'abu hamid, 'iihya' eulum alddin (bayrut: dar alnnadwat aljdydt), j4.

Al-Fayruz 'abady, muhammad bin yaequb , alqamus almuhit j1.

Al-Fayaruz 'abady, muhammad bin yaequb, almisbah almunir fi sharah ghurayb alkabir j2

Internet

Mawqie maqalat 'iislam wyb, (articles.islamweb.net) almutamar al'iislami alththalith eshr lilmajlis al'aelaa lilshshawn al'iislamiat 9/ 7/2001m.

Iabihath al-Mutamar al-Ealami al-Ththalith lilaiqtisadi, Bab Himayat al-Milkiat al-Fikriat fi al-Faqih al-Iislami Jamieat Am al-Quraa Makkat al-Mukarramat vol 3

Nasīm al-Syām, *Manhaj al-Imām al-Syāfi'ī*, 2, http://www.naseemalsham.com

إنكار

الآراء الواردة في هذه المقالة هي آراء المؤلف. القناطر: مجلة الدراسات الإسلامية العالمية لن تكون مسؤولة عن أي خسارة أو ضرر أو مسؤولية أخرى بسبب استخدام مضمون هذه المقالة.